الفصل الثاني

غياب الأب
(أسبابه وأهميته وأثره في تكوين شخصية المراهق)

مدخل

يتصف المجتمع البشري مهما اختلفت معطياته الثقافية، المحلية والواقعية، بمميزات شمولية تعد الوظيفة الوالدية من أهمها. وتشمل الوظيفة الوالدية وجود الأم إلى جانب ابنها، كما تتضمن قيام الأب بدوره تجاه أسرته وارتباطه الوثيق بها.

فقد كان الأب وما يزال يحتل قمة الهرم في البناء الأسري؛ فهو رب الأسرة ويتشارك مع الأم في مسؤولية بنائها والمحافظة على كيانها.

وقد اقتضى تطور الحياة الاجتماعية أن يكون الأب أكثر قرباً من أبنائه، وأكثر مسؤولية في عملية التنشئة الاجتماعية، فلم يعد دوره مقتصراً على السلطة أو على المسؤولية المادية في الأسرة، بل أصبح يعمل مع الأم على إشباع الحاجات النفسية للأبناء.

obeikandl.com

فقد أخذ الأب في كثير من المجتمعات الحديثة بمشاركة الأم في العناية بالطفل منذ ولادته، خصوصاً في ظل ظروف عمل الأم، الذي اقتضى خروجها من المنزل.

وإن وجود الأسرة بعناصرها المكتملة (الأب-الأم-الأبناء) يعد أول أساس للصحة النفسية التي تستمد جذورها من العلاقة الوثيقة الحارة التي تربطهم ببعضهم. وإن حرمان الأبناء من وجود الأب لأي سبب من الأسباب بصورة كاملة أو جزئية، يترك آثاره السلبية على البيئة الأسرية عموماً وعلى النمو النفسي للأبناء خصوصاً.

حقوق الأبناء على الآباء

للأبناء حقوق على آبائهم؛ ذلك لأن وجودهم جزء من وجود الأب وهذه الحقوق هي:

- القبول والاحترام للابن سواء كان ذكراً أم أنثى، قبيحاً أم جميلاً، سوياً أم مريضاً، وتوجيهه ومعاملته باحترام. فالشعور بالفرح والثقة لا يحصل إلا من خلال احترام الأب ولده.
- توفير الحاجات الضرورية لنمو الأبناء وسلامتهم جسمياً ونفسياً.
- مراعاة الجوانب الإنسانية: كتشجيع الأب لأبنائه ومعاملتهم بصورة حسنة والابتعاد عن التمييز بينهم، لما للتفرقة من آثار نفسية خطيرة على الأبناء كالغيرة والحقد بين الإخوة.
- التنشئة الدينية الصالحة والإيمان بالخالق.
- التفاهم مع الأم: فالتناغم والانسجام بين الأب والأم هو الأساس السليم لتحقيق الصحة النفسية والسعادة والهناء

للأبناء، أما وجود الخلافات والمشاحنات فهو التربة الخصبة لنمو مشاعر اليأس وخيبة الأمل وافتقاد الأمن لدى الأولاد، وفي حال وجود خلافات على الآباء أن يسعوا لإبعاد الأولاد عنها قدر الإمكان، والابتعاد عن إظهار تلك المشاحنات أمام الأبناء.

- أن يكون الأب القدوة الصالحة والمثل الأعلى لأبنائه.
- مراعاة فلسفة النمو: أي أن يراعي الأب مراحل النمو التي يمر بها الأولاد.

أهمية دور الأب في الأسرة

كان الأب في مجمل الحضارات رمز السلطة ومالكها الشرعي الوحيد، وما يزال دوره الرئيسي حتى في أكثر المجتمعات تقدماً يتم خارج نطاق المنزل باعتباره عائلاً لأسرته، والمسؤول عن الإنفاق على زوجته وأولاده، وتفوق هذه الوظيفة أي وظيفة أخرى. في حين تقوم الأم بكل ما يتعلق بتربية الأولاد وتمضي وقتاً أطول من الأب معهم.

وتمثل الأبوة قيمة اجتماعية في الثقافة العربية والمشرقية عموماً، حيث تعدّ أكثر السلوكات تقديراً من الناحية الاجتماعية، وتشكل شهادة الأهلية الاجتماعية. ويعد الابن ضرورياً للأبوين لإشباع الحاجات النفسية والاجتماعية لهما كالتوافق النفسي والمكانة الاجتماعية. وتعتمد الأبوة بشكل كبير على القانون والدين والثقافة، وخاصة مؤسسة الزواج، وربط الأب بوحدة الأم-الابن.فعلاقة الأب مع أولاده والدفاع عنهم لها أبعاد ثقافية ودينية وأخلاقية.

obeikandl.com

والأبوة في إحاطتها النفسية والاجتماعية هي مزيج من العاطفة التي تتجلى في المحبة والمودة والسلوك الذي يتجلى في الحماية والرعاية.

وتشكل وظيفة الأبوة أحد المظهرين المزدوجين اللذين تدرك الأبوة من خلالهما وهما:

أولاً- (الإحساس بالأبوة): الذي يشكل استعداداً نفسياً فطرياً بطبيعته، يشتمل على كل ما يحدث داخل الأب نتيجة علاقته بالولد، فيكون الطفل هو الغذاء الروحي لوالده. فالأبوة تهب الإنسان شعوراً بالقوة والقابلية واللياقة والجرأة والشجاعة للتخطيط من أجل سعادته وسعادة أسرته حين يدرك الشخص الذي أصبح لتوه أباً، أنه أصبح ذا مكانة خاصة لم يكن يملكها فعلاً، فيرى نفسه كفئاً لنيل احترام الآخرين.

ثانياً- (الوظيفة الأبوية): التي تشتمل على كل ما يحدث داخل الولد نتيجة علاقته بأبيه. ولكن الأبوة بمفهومها المتكامل لا تكتسب إلا بالتثقيف والنضج والممارسة، والأبوة التي تعطي هي تلك التي تسعى إلى مزيد من المعرفة ليكون عطاؤها عن فهم وإدراك لدوافع الأبناء والمعاني العاطفية والنفسية لسلوكهم.

وإن افتقار الأهل إلى الدراية والخبرة وجهلهم بالواجبات المفروضة عليهم (باعتبارهم آباء وأزواجاً وأشخاصاً) يؤدي إلى إخفاقهم في أداء الدور الذي يتحتم عليهم القيام به، ومن ثم حدوث العديد من الإشكاليات والاضطرابات.

وليس المهم أن يمضي الآباء وقتاً طويلاً مع الأبناء، ولكن نوعية الأب في حياة أولاده وطبيعة هذا الوجود هي الأهم.

ووفقاً لأساليب التربية الحديثة التي ترى أن مشاركة الأب في تنشئة الأبناء منذ البداية، تهيئ فرصاً كثيرة لتوثيق الروابط بينهم؛ فالطفل سوف يميز شخصاً آخر يطعمه ويهتم به غير أمه، لذلك فإنه سوف يتقبل وجود الأب بسرعة، بل وسوف يبحث عنه إذا غاب؛ فوظيفة الأب السيكولوجية لا تقل عن وظيفة الأم، ويتكامل الاثنان معاً لتحقيق التوازن النفسي السليم اللازم لنمو الأبناء، وتزداد أهمية دور الأب مع زيادة نمو الطفل، وقد بينت دراسة إيمار(Emar) أن معظم الأفراد المصابين بالفصام قد حرموا من الأب، في إحدى فترات طفولتهم أو بداية مراهقتهم، كما بينت دراسة فلافيني (Flafeeny)أن عدم التكيف ينجم عن وجود ضعيف لدور الأب.

وتتجلى مسؤولية الأب في توفير كل ما تحتاجه الأسرة، وفي تقديم العطف لأبنائه واحترامهم والاستفسار عن أحوالهم؛ فالأب والأم هما المسؤولان عن بناء شخصية الأولاد، ويشكل الأب القدوة لهم في العمل، وهو أول وجه يتعرف به الطفل بعد أمه ومن ثم سينظر إليه فيما بعد أنه المسؤول عن الأمن والنظام في الأسرة، وأنه الرازق والقوي والملاذ. ولا تقل أهمية دور الأب عن دور الأم، وسوف يتعلم الأولاد الاعتماد على أنفسهم فيما لو قام الأب بمسؤوليته ونجح فيها، أما لو قصر في ذلك فإن الانحراف سيكون مصير هؤلاء الأولاد، فما أكثر الذين لجؤوا إلى الانحراف والإجرام بسبب وجود آباء غير مهتمين.

ويقوم الأب بالتعاون مع الأم بوظائف رئيسية في حياة الأبناء تتلخص فيما يلي:

١- **البناء الفكري**: أي وضع أسس البناء الفكري للأسرة وتحديد نظام القيم الذي يتحكم بالأفراد، وإرشاد الأبناء إلى القيم الدينية والأخلاقية للأسرة أيضاً.

٢ - **تنظيم الوظائف وتقسيمها**: أي تحديد برامج النوم واليقظة وتناول الطعام والسفر، ورسم مسؤولية أفراد الأسرة في البيت والمدرسة، فهو الذي يقوم بالتعاون مع الأم بتوجيه الأبناء إلى ساعات مشاهدة التلفاز ونوع البرامج التي يمكن مشاهدتها، وتوجيههم إلى اختيار الكتب المناسبة، والرحلات والزيارات والمشاركة في الحياة الاجتماعية.

٣- **تنظيم العلاقات**: أي تنظيم علاقات الكبير بالصغير والأخ بالأخت وعلاقات الأسرة بالأصدقاء والأقرباء، والإشراف على الممارسة الجيدة لهذه العلاقات.

٤- **رسم برنامج الحياة**: ويشتمل على كل ما تحتاج إليه من قضايا التسلية والأمور الأخرى التي تؤدي إلى بنائها ورشدها وتزرع الألفة والتفاهم بين أفرادها.

٥- **تنظيم الوقت**: أي تنظيم برنامج أفراد الأسرة و تحديد أوقات الدراسة واللعب ومصاحبة الأصدقاء.

٦- **المراقبة والاهتمام**: ودرء الأخطار الجسمية والأخلاقية والمعنوية عن الأسرة.

٧- **المحافظة على الانضباط**: أي توجيه الأبناء للالتزام بالقوانين الاجتماعية السائدة.

وتتلخص أهمية هذا الدور في النقاط التالية:

- يختلف أسلوب التواصل بين الأب وأبنائه عن أسلوب الأم؛ إذ تكون الأم غالباً أكثر عاطفية وانفعالية في معاملة أبنائها، في حين يكون الأب أكثر حزماً، ويشكل هذا التكامل في الأدوار ضرورة لتحقيق التوازن في شخصية الأولاد.

- إن طريقة لعب الأب تختلف عن طريقة الأم، وتشكل للأولاد نوعاً من الإثارة، وهذه الإثارة الحسية الجسدية تسعدهم، وتعد ضرورية ومهمة جداً للدماغ في أثناء النمو. وعندما يكبر الأولاد يستمر الأب في تأمين هذه الإثارة الحسية الجسدية (ألعاب المصارعة على السرير، المشاركة في ألعاب الكرة وغيرها..)، وخاصة بالنسبة إلى الذكور.
- يسهم الأب مع الأم في توفير ظروف التحدي لأبنائه، فهو يتوقع منهم أكثر مما تتوقعه الأم، فهو يشجعهم على النهوض إذا سقطوا، وهذا يشكل تكاملاً للأدوار ضمن العائلة.
- لغة الأب تختلف عن لغة الأم؛ فالأب إجمالاً يستخدم كلمات معقدة خلال تحدثه مع أولاده، ولا يبسطها كما تفعل الأم لتتأكد أنها أوصلت رسالتها، هذا وإن استخدام لغة راشدة مع الأولاد مقابل لغة مبسطة يساهم في إغناء القدرات اللغوية لديهم.
- إن سلطة الأب التربوية أقوى من سلطة الأم غالباً في مجتمعاتنا؛ فالأب يستخدم حاجزاً عاطفياً في تعامله مع أولاده.
- يسهم الأب في إعداد ولده للعالم الحقيقي، ويشعر الطفل أن هذه مسؤولية، فتراه مثلاً لا يتسامح بالنسبة إلى آداب المائدة.
- يساعد الأب أبناءه في تكوين صورة واقعية عن عالم الرجال، فهو أحياناً يدربهم على الرياضة ويأخذهم لملاقاة

openkandil.com

أصدقائه، وهذا ضروري للنشء الذي يحتاج إلى إطار واقعي يتعايش فيه ضمن مفهوم الرجولة. وإذا غاب الأب يفقد النشء هذا الإطار، فالأب يعطيه منذ الطفولة نوعاً من المرجعية في بحثه عن الهوية الجنسية.

- الأب سند مهم للأم، فالزواج كناية عن فريق عمل متكامل، يتساند فيه الأبوان؛ فالأب يسند الأم عاطفياً ويريحها نفسياً، مما يسمح لها بأن تعطي أولادها أكثر، ويوفر لها الطاقة العاطفية التي تحتاجها لمتابعة مسيرتها ضمن العائلة.
- إن الحضور النوعي للآباء في الحياة العائلية يضمن نجاح الأولاد، فالعلاقة السليمة بين الأب والأولاد تؤثر بصورة كبيرة في قدرة الأولاد على التكيف مع المجتمع، والإبداع في جميع النشاطات الحياتية الدراسية والاجتماعية.وكذلك فإن الأولاد الذين تمتعوا في طفولتهم ومراهقتهم بعلاقة حسنة مع آبائهم يصبحون أزواجاً ناضجين صالحين في المستقبل.

لذا فإنه من المفيد جداً أن يساهم الأب إلى جانب الأم في تنشئة الأولاد، وتعد مساهمته هذه من صلب وظيفته ودوره داخل الأسرة، لكنه لن يتمكن من تحقيقها إلا إذا تميز وجوده ضمن الإطار الأسري بالثبات والاستمرارية والحزم مقروناً بالسلاسة والمرونة بالنسبة إلى التفاصيل. ومن المفيد تدخل الأب عندما تستدعي الحاجة تدخله كي يعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي بين الطفل وأمه؛ لأنه وحده القادر على ذلك.

وتتميز وظيفة الآباء بمظهرين؛ الأول غير مباشر ويتجلى في وجود الأب الفعلي إلى جانب الأم يدعمها معنوياً ومادياً؛ لتتمكن من إبعاد الطفل عنها تدريجياً في طريق الاستقلالية الذاتية، والثاني مباشر

ويتجلى في دور الأب باعتباره منظماً للمسافة النفسية القائمة بين الأم والطفل، وذلك بفضل تأمين الحب والطمأنينة للأم حتى يتسنى لها عدم التعلق بطفلها والرغبة في امتلاكه.

إن احترام الأبناء لكلمة الأب، تنطلق من طبيعة علاقة الأب بالأبناء، ومن طبيعة شخصية الأب وقدرته على التكيف مع متطلبات الحياة الحاضرة، ومن تطابق أفعاله مع أوامره وأقواله، ومن شأن ذلك أن يقوي السلطة الأبوية العادلة والمنطقية، التي يحتاج المراهق إليها لتحد من جماح رغباته وتمكنه من مواجهة مسؤوليات الحياة.

أهمية دور الأب من الناحية النفسية

إن النمو النفسي للأبناء هو سلسلة من الأحداث المنمطة التي تبدو في السلوك الظاهري للنشء، وتقتضي مسؤولية الآباء رعاية النمو النفسي للأبناء، وتوجيه نموهم في الاتجاه الصحيح ومساعدتهم كي يكونوا أكثر توافقاً مع أنفسهم ومع الآخرين.

فالشعور العاطفي المتبادل بين الأب وأبنائه يشعرهم بأنه قريب منهم، مما يعزز كيانهم الشخصي، ويقوي ثقتهم بأنفسهم، فهم يريدون من الأب أن يستقصي عن أحوالهم الشخصية، ويشاركهم في مواجهة الصعوبات، ويشجعهم على الإنجاز، ويبقى على صلة مستمرة معهم.

ويحتاج الأبناء إلى تكوين صورة واضحة عن الأب؛ لإشباع جميع الحاجات النفسية والمادية والثقافية الأصيلة التي تشكل الأساس السليم لبناء شخصيتهم، من ذلك حاجتهم إلى التفاهم والحب والأمن وتأكيد الذات وبلورة الاستعدادات والتماهي بالأهل وبالأب خاصة.

obeikandl.com

ومن أولى مهام الأب خلق المناخ المناسب للنمو الصحيح، والذي يشكل عامل إثراء لشخصية الأبناء، ويعمل الأب على تحقيق ذلك من خلال دوره رمزاً للسلطة ومصدراً للحنان في الوقت ذاته، ويحتاج الأبناء إلى سلطته في أسلوب يجمع الحزم والعطف معاً، كما يحتاجون إلى تشجيعه وتقديره، وإلى موافقته وقبوله، ومن شأن ذلك أن يبعث فيهم الثقة بنفوسهم والحماس والتشجيع والطموح والاحترام والشجاعة والعزم والاتزان.

يشكل الأب نموذجاً للسلطة التي تعد وظيفة الأب الأساسية والمبدئية، كما أنه يعد نموذجاً للتماهي.فوجود الأب بالنسبة إلى الطفل يمثل تلك الصورة المثيرة للاطمئنان والقلق معاً لكونه محبوباً ومثار إعجاب؛ أي مثالاً أعلى لأنا الطفل، ويشكل ذلك أحد مقومات وظيفة الأب المباشرة إلى جانب الطفل من جهة، ومثار خوفه لأنه منافس له ومثير لقلق الخصوصية عنده من جهة أخرى، ويشكل ذلك عنصراً آخر من مقومات وظيفة الأب المباشرة، ومن ثم على منافسته لامتلاك الأم عند الصبي، أو لمنافسة الأم على امتلاك الأب بعد تماهيها بصفاتها عند البنت.

ويعد وجود الأب (باعتباره نموذجاً للجنس الذكري) ضرورة للقيام بدوره الذي يشمل إطار طبيعة الحياة القائمة على تكامل الرجولة والأنوثة بكل مقوماتهما، لتحقيق نمو مفهوم الدور الجنسي لكل من الصبيان والبنات، من خلال وجود النموذج الذكري في الأسرة، ومن خلال العلاقة القائمة بين الأم والأب والذي يترك مشاعر عاطفية نفسية في نفوس الأبناء؛ فالأم والأب كيان مزدوج متكامل والوظيفة الأبوية تشتمل على كل ما يحدث داخل الأب نتيجة علاقة الطفل به، فالإحساس بالأبوة ينطلق من علاقة ثلاثية الأبعاد (أم - طفل - أب).

كذلك يؤدي الأب دوراً هاماً في تكوين الذات العليا أو الضمير الاجتماعي للطفل، التي تحدث نتيجة لعملية التوحد مع الأب. ويتبنى الطفل عادة مُثُل والديه ومبادئهما، ويصبح سلوكهما الأخلاقي ومحرماتهما، قوانين سلوكية يعمل على تمثلها والاقتداء بها بصورة شعورية أو لا شعورية.فالأولاد يحاكون الوالدين في المعايير الأخلاقية والممارسات السلوكية، ويمكن للذكور أن يحاكوا الآباء منذ سن السادسة، وأن تحاكي البنات أمهاتهن. مما يساعد الأبناء على تشرب قيم المجتمع والتكيف مع الواقع الاجتماعي.وهكذا فإن وجود الصورة الأبوية القوية ضروري للنمو النفسي السليم للأبناء.

أهمية دور الأب من الناحية الثقافية

للأب دور هام في تنشئة أبنائه من الناحية الثقافية، إذ يقوم بتعليمهم فلسفة الحياة وكل ما يرتبط بها، ويسهم في تأسيس دعائم العلم والمعرفة في الأسرة ويوجه أبناءه نحو العلم والبناء أو العكس ويربي الذوق لديهم، ويتركز دوره في هذا المجال فيما يلي:

- يسهم الأب بالتعاون مع الأم في نقل ثقافة المجتمع إلى الأبناء، بما تتضمنه من عادات وتقاليد وتعاليم دينية، وفلسفة عامة تجاه الحياة، وتعليمهم القوانين الاجتماعية واحترامها، والتمييز بين الخطأ والصواب. فيكون للأب دور هام في تعليم أبنائه الحياة الاجتماعية، فيدفعهم إلى تعلم الأدوار التي يحتاجون إليها مستقبلاً.
- يسهم الأب غالباً في تعريف أبنائه بالحياة الدنيا وبالعالم. وإرشادهم إلى اختيار طريقة الحياة وكيفية مواجهة مصاعبها. وتعريفهم بالعادات والتقاليد المناسبة.

openkanal.com

- يمكن للأب أن يقوم بنقل بعض مظاهر الثقافة إلى أبنائه؛ كإطلاعهم على الفن والحضارة المدنية وتعريفهم بالأدب والآداب بما تتضمنه من شعر وأمثال وحكم وخاصة في مرحلة النشوء والشباب، وقد يتم ذلك بشكل غير مباشر من خلال ملاحظة الأبناء اهتمام الأب بهذا المجال، ومن خلال نوع الكتب المتوافرة في المنزل، حيث يمكن للأب أن يوجه الأبناء لاختيار الكتب المناسبة.

- للأب دور هام في الوضع الدراسي للأبناء، كتشجيعهم على الدراسة والتحصيل، وتعليمهم النظام والجد، ومساعدتهم على تحديد أهداف المستقبل، ورفع مستوى طموحهم، وتوجيههم لاختيار مجال الدراسة. وتوفير مستلزمات الدراسة والمحيط المناسب والتعاون مع المدرسة والمعلمين ومراقبة الأصدقاء. فقد بينت الدراسة التي أجرتها جمعية الأبوة الوطنية في أمريكا (١٩٩٥) أن الأولاد الذين نشؤوا دون أب هم أكثر عرضة لتدني التحصيل في القراءة، كما أن نسبة عالية منهم تترك المدرسة وترتكب حوادث سلوك عنيف، وتتعرض للطرد النهائي من المدرسة، بالإضافة إلى وجود مشكلات عاطفية ولااجتماعية لديهم كالانتحار والتدخين. كما يقوم الأب غالباً بتعليم الأبناء المهنة أو العمل الذي يشكل مستقبلهم المهني.

أهمية دور الأب من الناحية الاجتماعية والأخلاقية

يسهم الأب بدور كبير وهام في إعداد أبنائه ليكونوا أفراداً ناجحين في المجتمع؛ فهو يقدم لهم ما ورثه من ثقافة ويغرس عندهم العادات والصفات الحسنة ويهتم ببنائهم الجسدي والنفسي،

وهو قدوة لهم في القول والفعل. وإن أي تقصير في أداء هذا الدور سوف يخلق المناخ الملائم للعديد من الانحرافات.

ويشكل الأب مع الأم العقل المدبر للأسرة ومصدر قوتها واقتدارها، ويساهم في اتخاذ القرارات، وفي التوجيه والبناء والتنفيذ، وهو المسؤول الأول عن الإنفاق على الأسرة، والمشرف على التزام أفرادها بقوانين الأسرة وقوانين المجتمع، وهو الذي يساهم في توفير الأمن لها.

ويمثل الأب في نظر أبنائه القانون الاجتماعي الذي يشجع على النظام والالتزام، وإن حضوره الإيجابي على رأس أولاده في البيت يمكنهم من ممارسة وظائفهم باطمئنان وثقة، وخصوصاً أن الأب عادة يكون المسؤول الأول عن عملية التأديب وتنفيذ القرارات والضوابط. وذلك يشبع حاجة الأبناء الماسة إلى قانون/مرجع، يبين لهم معايير الصواب والخطأ. فقد بينت دراسة(J.Pfiffner et al، ٢٠٠٠) أن السلوك اللااجتماعي يكون متوقعاً أكثر في الأسرة التي يكون الأب فيها غائباً.

وهكذا فإن الأب يساهم بصورة رئيسة في تشكيل السلوك الاجتماعي والأخلاقي للأبناء، ويساعدهم في تنظيم حاجاتهم، وإشباع رغباتهم التي تتلاءم مع المعطيات الثقافية والاجتماعية؛ أي مع مجموع القيم السائدة في المجتمع الذي ينتمون إليه والاندماج في ثقافة مجتمعهم، مما يساعدهم على تحقيق بناء نفسي متوازن.

وللأب تأثيرات وراثية محيطية مصيرية في بناء شخصية الأبناء، فهو يساهم مع الأم في توجيه الأبناء للدين والعقيدة والإيمان بالخالق، مما يجعلهم يرتبطون بالقوانين والأخلاق الاجتماعية كما أنه يساهم في توجيه أفكارهم وسلوكهم فيكتسبون طريقة استدلال الأب وأسلوب تفكيره وتعامله مع الأمور واستخدامه للمفردات.ويرغب الأبناء

عادة في تقليد السلوك الشخصي للأب الذي ينعكس على سلوكهم، لاحتكاكهم الكبير به ولمكانته عندهم. وهكذا تنتقل سماته إلى أولاده، كالتي تتعلق بطبيعة شخصيته ومواقفه حيال الظواهر والحوادث المختلفة، بل حتى نوع المشي وطريقة الكلام والعادات الأخرى. فهي تمثل دروساً هامة ومؤثرة بالنسبة إلى الأبناء.

وتؤثر طبيعة العلاقة بين الأب والأم وطريقة التفاعل في المنزل، ونوع السلوك المستخدم، في معنويات الأولاد وأخلاقهم وفي سماتهم السلوكية؛ فالتعامل الإيجابي، والعلاقات الطيبة داخل البيت تدعم شعورهم بالأمن والطمأنينة والثقة.

أهمية دور الأب من الناحية المادية

إن دور الأب في توفير حاجات الأسرة يعد واجباً دينياً وأخلاقياً واجتماعياً، ويتأثر الرجل في دوره المهني بالتزاماته إزاء دوره باعتباره أباً؛ وذلك لأنه المسؤول الأول عن تلبية الاحتياجات المادية للأسرة، فيسخر كل جهده وإمكانياته لأداء هذا الدور، ويشعر الأبناء باليأس والإحباط إذا عجز الأب عن توفير حاجاتهم، ويستمر في أداء هذا الدور حتى يستطيع الأبناء أن يحققوا استقلالهم الاقتصادي.

وتؤثر ظروف العمل في مدى مشاركة الأب أبناءه نشاطهم اليومي؛ فساعات العمل الطويلة أو غير المنتظمة والنوبات الليلية وبُعد مكان العمل عن المسكن قد تبعد الأب عن أسرته لعدة أيام، مما يحد من إمكانية مشاركته في اتخاذ القرارات المتعلقة بأسرته، وقد تبعده إلى حد ما عن أبنائه.

وتتضمن مسؤولية الأب الاقتصادية أن يعلم الأب أبناءه تحمل المسؤولية، وتشجيعهم عليها، وتعليمهم حب العمل والإنتاج وقيمة

العمل، وتقدير قيمة جهد الآخرين، وذلك بأن يطلع الأبناء تدريجياً على عمل الأب، وأن يدركوا قيمة المال والهدف من الحصول عليه، وأن يدركوا حجم القوة الشرائية للعملة والأجر الذي سيكسبه لقاء جهد معين.كما تتضمن هذه المسؤولية توجيه الأبناء لتعلم مهنة معينة، أو لدخول مجال دراسة تقود الأبناء نحو مستقبلهم المهني.

شروط تأثير الأب

يقوم كثير من الآباء اليوم بمشاركة أبنائهم أفكارهم، ويحاولون فهم مشاعرهم والتعاطف معهم، كما يؤدون دوراً هاماً في تربيتهم ورعايتهم، وفي بعض الأحيان يلتحق بعضهم بالدراسة ليعدوا أنفسهم ليكونوا آباء صالحين وقادرين على فهم أبنائهم بصورة أفضل. كما أن التحديد القاطع لتقسيم العمل تبعاً للجنس في الأسرة انهار إلى حد بعيد، وأصبح الرجل عموماً أكثر مشاركة في الاهتمام بالمنزل ورعاية الأبناء.

ولا يوجد شك أن للأب تأثيراً في أبنائه، ولكن في ظل ظروف معينة، فقد نلاحظ أحياناً أن بعض الآباء لم يتمكنوا من التأثير في أولادهم أو من تغييرهم.

وإذا نظرنا إلى الأطفال المحرومين من الأب نجد أنهم عندما يكبرون يصبحون أكثر عرضة للمشكلات النفسية، وتعاطي المخدرات والكحول والعيش في فقر والرسوب في المدرسة. ويعدّ الأب مهماً لأن رعايته تختلف عن رعاية الأم؛ إذ إن أسلوب الأب يكون غالباً أكثر صلابة خصوصاً مع الصبيان. فالآباء يشاركون الأولاد ألعابهم العنيفة غير المقيدة بنظام أو انضباط، وذلك هام للصبية

لتطوير قدرتهم على التحكم والسيطرة على عدوانيتهم، لذلك فهو مزيج من تحدي الإنجازات مدموجاً مع الرعاية المثالية للأم، التي تخلق الطفل السعيد. كذلك يؤدي الآباء دوراً إضافياً هاماً فيما يتعلق بالبنات؛ فهم يعطون البنات خبرة إقامة علاقة مع شريك الحياة، من خلال تعلق البنات بالنموذج المثالي الإيجابي للأب.

ومن شروط التأثير الإيجابي للأب في الأبناء:

١- أن يكون الأب حاضراً في البيت مع أولاده

مما يهيئ الفرصة للتواصل مع الأبناء وخلق الألفة والمودة معهم، من خلال الحوار والمناقشة وصور التفاعل اليومي، ومن شأن ذلك أن يعزز العلاقة بين الأب والأبناء، كما أن حضوره يتيح له المجال للاهتمام بأبنائه ومتابعة شؤونهم وتوجيههم في مختلف المواقف، وأن يكون أكثر تأثيراً وقدرة في غرس قيمه ومبادئه الأخلاقية والسلوكية بصورة مباشرة أو غير مباشرة في محيط البيت، والتي يسعى الأبناء إلى الاقتداء بها في سلوكهم. مما يبلور أهمية دور الأب في جميع مراحل نمو الأبناء، ويعزز رغبتهم في تقليد سلوك الأب، وفي نيل رضاه واستحسانه.

٢- المعاملة الطيبة

إن العلاقة الحميمة بين الأب وأبنائه والتي تستند إلى المعاملة الطيبة، تشكل الأساس الإيجابي، وتمكن الأب من أن يكون أكثر تأثيراً في أبنائه. فلا بد أن يكون الأب أنيساً، محباً ورفيقاً لأبنائه في اللعب، وأن يكون عادلاً لا يفرق بينهم في المعاملة، وأن يكون قادراً على توفير حاجاتهم؛ لأن ذلك يجعل العلاقة حميمة ووثيقة بينه وبين

أولاده. وتعمل أساليب المعاملة السلبية على ابتعاد الآباء عن الأبناء وتزيل الثقة بينهم؛ مما يخفف من تأثير الآباء في أبنائهم، ويتوقف نجاح العلاقة الأبوية على مقدار الدور الفاعل الذي يقوم به الأب تجاه أبنائه، ولا يرتبط تدعيم العلاقة كلياً بمقدار الزمن الذي يقضيه الأب مع أبنائه قدر ما يرتبط بالمتعة والمعاملة الحسنة وترسيخ مبادئ الحياة الاجتماعية.

فالآباء غير المهتمين بأولادهم عاجزون عن توفير الرعاية اللازمة لهم، على وجودهم المستمر في البيت، وعلى النقيض من هؤلاء فالآباء الذين يصرفون جل وقتهم في العمل ويكونون مهرة في ممارسة علاقات إيجابية مع أبنائهم قادرون على إثبات وجودهم بصورة فعالة؛ فنوع العلاقة أهم من مقدارها. وإن إبداء الحب والحنان والرعاية للأبناء، وحرص الآباء على خلق جو من الهدوء والوفاق في محيط الأسرة مع الأم ومع الأولاد، يوطد العلاقة بين أفرادها ويشعرهم بالأمن والطمأنينة، فيبادلونه حباً بحب.

فينبغي للأب أن يحتضن ولده منذ ولادته، وأن يظهر الحب والألفة والحميمية في تفاعله معه بالابتسامة والحوار والكلام والدعابة، وأن يخصص جزءاً من وقته ليتسامر معه حتى يلمس ذلك الحب؛ فالحب هو أساس سلامة النفس والجسم، وهو الذي يعمل على إذكاء شعوره بالأمن والثقة بالنفس والوالدين، ويؤدي انعدامه إلى ظهور اضطرابات نفسية وسلوكية.

وينبغي للأب أن يكون قريباً من ابنه يقدم له الدعم والحماية والشعور بالاستقرار، ويعد ذلك من ضروريات النمو النفسي السليم، لذا حري بالأب أن يكون شجاعاً جريئاً ومقاوماً لمختلف الحوادث؛ فالأب

openkandil.com

الذي يظهر الخوف والاضطراب أمام أبنائه، لا يستطيع أن يوفر الأمن لهم، فالأبناء يحتاجون إلى أب قوي وشجاع يقف إلى جانبهم في الأزمات، ويكون قادراً على أداء دوره في تحقيق الاستقرار النفسي والأخلاقي لهم في الطفولة والشباب.

٣- استخدام الحوار مع الأبناء

يمثل الحوار الوسيلة الفضلى لتأمين التفاهم بين الأب وأطفاله؛ إذ بمقدار ما يعرف كيف يتحاور معهم يستتب التفاهم فيما بينهم، والحوار بين الأب والشبيبة اليافعة يرتكز عموماً إلى الرغبة في تأكيد الحقيقة عبر البحث المشترك عنها، والسلطة الأبوية اليوم تتطلب قيام الأب بالاقتراحات وتفحص الأمور بقصد تقويم آراء الأبناء والسماح لهم بالاعتراض أو القبول، فقبول آراء الأبناء ومناقشة الأمور معهم وإبداء رأيهم تجاه الأوامر الصادرة عن الأب يشكل أفضل ضمانة لتقبل سلطته الأبوية. وهكذا ينمو لدى الطفل والمراهق - بشكل خاص - الإحساس بأنه عبر عن رأيه ورغباته بطريقته الخاصة، وسوف ينظر بارتياح إلى كلمة الأب الفاصلة لحسم الأمور.

هذا وتجدر الإشارة إلى ضرورة انطلاق كلمة الأب الحاسمة من الأفكار والوقائع المتجددة زمانياً ومكانياً، والمتلائمة مع حاجات الفرد وسلوكه الحاضر، كي تكون صادقة وواقعية ومقبولة من قبل الأبناء. فحرية الرأي الممنوحة للأولاد لا تقلل من هيبة الأب، بل على العكس تقويها وتدعمها؛ فتقبل الأب مناقشة مختلف وجهات النظر يسمح له بالاحتفاظ بقدرته كصورة إيجابية ثابتة الطبع والوجود؛ لأنها متلائمة مع التحولات التي يفرضها اختلاف الزمن ومعتقدات الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

٤- الإلمام بالمتطلبات النمائية

تتطلب مرحلة المراهقة إشباع حاجات نفسية ملحة، ويقوم الوالدان بدور أساسي في إشباعها، كالحاجة إلى تهذيب الذات والحاجة إلى الاستقلال والحاجة إلى الانتماء والتقبل والحب والمكانة وتبني القيم المناسبة والتكيف الاجتماعي. ويستطيع الأب الواعي والمدرك لخصائص هذه المرحلة النمائية مساعدة أبنائه على إشباع تلك الحاجات بصورة متوازنة تساعدهم على تحقيق التكيف مع أنفسهم ومع محيطهم الاجتماعي. وذلك من خلال إبداء القبول والاستحسان والتشجيع والمشاركة في اتخاذ القرارات ومنحهم بعض الاستقلالية والثقة بهم واحترام آرائهم وغيرها....

بعض أخطاء الأب وتأثيراتها السلبية في تنشئة الأبناء

قد يكون بعض الآباء غير قادرين على أداء أدوارهم بكفاءة، فتظهر الأخطاء عمداً أو دون قصد في العملية التربوية، وتتجلى في أساليب تواصل غير صحيحة يستخدمها الأب مع أبنائه، كالإهمال، الدروس السيئة، الإفراط في القسوة وممارسة العنف، التدليل والإفراط في إظهار الحب، الصرامة، الخلافات والمشاحنات بين الزوجين وإقحام الأولاد في ذلك، عدم تقبل الابن وإظهار القدوة السيئة في مجال الدين والأخلاق والقول والعمل وغيرها.

فقد يلجأ الأب إلى التعامل مع أبنائه من موقع القوة والاقتدار كي يخشوه ويهابوه، فيفرط في استخدام سلطته، كما أن بعضهم الآخر غافل عن دوره ومسؤوليته، لا يجد الطرق المناسبة للتعامل مع أبنائه،

ولا يستطيع التفاعل معهم، وإن بناء علاقة واهية وضعيفة مع الأبناء يهدد موقع الأب ومكانته في أسرته.

وإن إظهار النزاع والخلاف بين الوالدين هما أول سبب لتهديد شعور الأبناء بالأمن وسوء الظن بالوالدين وإبداء السلوك العدواني بأشكاله المختلفة.

ويمكن تلخيص الأساليب التربوية الخاطئة التي يقع فيها الآباء تجاه أبنائهم فيما يأتي:

- إجبار الأبناء على اختيار مجال الدراسة أو العمل

إذ إن بعض الآباء يجبرون أبناءهم على تحقيق أهدافهم وآمالهم في الحياة التي لم يستطيعوا تحقيقها، بغض النظر عن قدرات الأبناء، مما يؤدي إلى إخفاقهم وفشلهم، ومن ثم تتولد مشاعر سلبية كعدم القدرة على تحقيق الذات والعدوانية نحو المجتمع بأسره.

- التساهل والإهمال في التربية

إن تلقي الوالدين لأساليب تنشئة تقوم على القسوة والعنف والصرامة، وما تتركه من خبرات سيئة، تجعلهم راغبين في تجنيب أبنائهم ما تعرضوا له في طفولتهم، فيتركون أبناءهم يفعلون ما يشاؤون بلا ضابط ولا احترام لأي نظام، ولا مراعاة للقواعد والأصول سواء داخل المنزل أو خارجه. كما أن إغفال قدرات الأبناء وعدم الاكتراث بنجاحهم، وعدم تقديم التشجيع بأشكاله المختلفة لدى أداء سلوك مرغوب قاموا به، وتركهم دون توجيه إلى ما يجب فعله، قد يشعرهم بالإحباط واليأس وتدني الشعور بالذات، مما يضعف

الإحساس بالمكانة في الأسرة والانتماء إليها، فيندمجون في أعمال سيئة مخالفة للقواعد والقوانين ويفتقدون الحساسية الاجتماعية.

- التدليل والحماية المفرطة

أي ترك الابن يفعل ما يشاء لتحقيق رغباته الملحة وغير الملحة، دون النظر إلى السلوكيات الخاطئة والخارجة عن المألوف وغير المرغوبة اجتماعياً، وقد يدافع الأب عن هذه الأنماط السلوكية ضد أي توجيه أو نقد يوجه للابن. ويقوم بعض الآباء بالمسؤوليات والواجبات نيابة عن الابن، ولا يدعون له فرصة ليتخذ أي قرارات، مما ينتج شخصية اتكالية دائمة الاعتماد على الآخرين، غير قادرة على تحمل المسؤولية، وغير منضبطة في السلوك، خائفة وغير مستقرة، لديها استعداد للاستثارة والخضوع لرغبات الآخرين وانعدام التركيز والنضج وانخفاض قوة الأنا وتقبل الإحباط، وقد تظهر على صاحبها استجابات الانسحاب وفقدان التحكم الانفعالي.

- القسوة والتفرقة في المعاملة بين الأبناء

وتتمثل في استخدام الأب لأساليب القسوة والعقاب البدني وكل ما يؤدي إلى إثارة الألم الجسمي بصورة مفرطة. ويلحق بهذا الأسلوب إثارة الألم النفسي بما يتضمنه من إشعار الابن بالذنب وتحقيره والتقليل من شأنه، واستخدام أساليب التمييز بين الأبناء على أساس الجنس أو السن أو لأسباب أخرى، مما يؤدي إلى أنانية الشخص المفضل على حساب إخوته، وإلى زرع بذور الكراهية

والضغينة بين الأخوة، ولا بد أن يؤثر ذلك في الصحة النفسية للأبناء، فيفقدهم الثقة بالنفس ويجعلهم مترددين في أي عمل يقومون به خوفاً من التحقير أو اللوم أو التعنيف. أو يجعلهم أشخاصاً ينزعون إلى التمرد والعدوانية كوسيلة للتنفيس والتعويض، ولتحقيق الذات.

غياب الأب وأسبابه

الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وهي الخلية الحية في كيانه، ويشير مصطلح الأسرة إلى الأب والأم والأولاد، ويؤدي غياب الأب عن الأسرة إلى الخلل في بنائها الأساسي، وقد يقود إلى واقع أسري متدهور.

إن فقد الأب بالوفاة أو غيابه بفعل الطلاق أو السفر أو تواريه بفعل الإهمال والتهرب من المسؤوليات الأبوية على الرغم من حاجة أولاده الماسة إليه يشكل أكبر حرمان يمكن أن يصيب الأولاد، ويلقيهم في متاهات الحرمان المثير للشعور بانعدام الوجود وقد يتملكهم محدثاً بداخلهم ذلك الإحساس بالإهمال والوحدة السوداء والمزاج الوحشي، الخجول واللااجتماعي، وفقدان السند والدعم الضروريين لهم، مما يدفعهم بشكل لا واع إلى تخزين شحنة من التحدي والرغبة في التفوق تحدياً لعقدة النقص هذه، ويدفعهم أحياناً أخرى إلى ترك المنزل ومشكلاته والبحث عن صحبة سيئة في الشارع، مما يوقعهم في مشكلات لا حصر لها.

يكون غياب الأب على شكلين:

- **غياب جزئي:** حيث يعيش الأبناء في منزل الأب، ولكنه بعيد

عنهم لأحد الأسباب ولمدد زمنية قد تطول أو تقصر، ولا يستطيع منح أبنائه المحبة والعناية التي يحتاجونها.

- **غياب كلي أو تام:** وهو غياب سببه الوفاة أو الهجر أو الانفصال بعيداً عن الأسرة والأبناء.

ويغيب الآباء لأسباب منها:

- وفاة الوالد.
- طلاق الوالدين.
- السفر للعمل في الخارج.
- السجن أو الإيداع في مشفى لمدة طويلة.

ويمكن وصف حالات الانفصال عن الأب من حيث مشاعر الأولاد:

- انفصال دائم لا تصاحبه ضغوط خارجية: كسفر الأب بصورة دائمة أو وفاته.
- انفصال دائم تصاحبه ضغوط خارجية: كحالات السفر أحياناً، وحالات الوفاة، والطلاق أو الهجر، والإيداع في السجن وتخلي الأب عن مسؤولياته تجاه أولاده.
- انفصال جزئي لا تصاحبه ضغوط خارجية: كالسفر بقصد العمل.
- انفصال جزئي تصاحبه ضغوط خارجية: كبعض حالات السفر والطلاق والزواج الثاني. وإن الحالات المختلفة لغياب الأب ليست متماثلة التأثير في نواحي شخصية الأبناء،

obeikandl.com

ويتوقف ذلك على عدد من العوامل والظروف المحيطة بخبرة الحرمان والانفصال والتي تسهم في مدى تأثر الأبناء بالحرمان من رعاية الوالد، وكذلك في إدراكهم واستجابتهم لهذه الخبرات المؤلمة، ويمكن افتراض إما زيادة الشعور بالحرمان مع تكرار خبرات غياب الأب، أو الاعتياد على غياب الأب مع تكرار خبرات غيابه غير المسببة لمشاعر الحرمان.

وثمة عوامل قد تزيد أو تنقص من تأثير غياب الأب على الأبناء وهي:

- عمر الابن وقت حدوث الغياب.
- مدة الغياب أو الانفصال.
- خبرات الانفصال والغياب السابقة.
- علاقة الطفل السابقة مع الوالد.
- الخبرات التالية المعززة للغياب.
- العلاقة مع الأب في أثناء الانفصال.

صدمة فقد الأب بالوفاة

يمثل موت الأب خسارة للأبناء، وشرخاً في حياة الأسرة، ويختلف حجم هذه الخسارة باختلاف سن الأبناء وإدراكهم وفهمهم وذكائهم وجنسهم، ويمكن للابن أن يدرك وفاة أبيه بعد عامه السابع، فتكون ردة فعله على ذلك ظهور مشكلات صحية كفقد الشهية للطعام، وفقد النشاط، وظهور اختلال في حركة الرجل واليد والعين والأذن والأجفان، وحدوث اضطرابات في النوم أو الإصابة ببعض الأمراض

وغيرها من الأعراض الناجمة عن الشعور بالحزن والكآبة ولوم الذات. كما تظهر لديه أعراض ذهنية ونفسية كانخفاض مستوى الذكاء، وتدني مستوى التحصيل الدراسي وظهور خلل في الشخصية والسلوك بشكل عام، كالخجل والخوف والإحساس بالقلق. وقد تظهر لديه المشكلات العاطفية كالاضطراب والشعور بانعدام الأمن، والهيجان الشديد أحياناً والحساسية وسرعة التأثر أحياناً أخرى، والانطواء أو إظهار السلوك العدواني. وقد تتجلى في عدم القدرة على التكيف مع المحيطين به. وغيرها من المشاعر السلبية والمشكلات، خصوصاً لدى المراهقين، والخطر الذي يتجلى في فقد الأب هو خطر الشعور بالنقص ووجود قصور في توفير الحاجات.

ويمكن للأم أن تقوم بدور أساسي في التخفيف من مشاعر الحزن والقلق لدى الأبناء، وذلك بأن تحاول أن تكون أكثر تماسكاً، وأقل قلقاً. وأن تتفهم الأبناء وتكون أكثر قرباً منهم، وأن تتحدث إليهم عن طبيعة الحياة الإنسانية وإرشادهم وإظهار الصورة الإيجابية للأب وذكر إيجابياته ومزاياه بصورة دائمة، ويتعلق ذلك بمستوى وعي الأم، وظروف الأسرة ومحيطها الاجتماعي.

هجرة الوالد أو سفره

يترك غياب الأب فراغاً واضحاً في الأسرة؛ فالأبناء الذين اعتادوا على رؤية والدهم صباحاً ومساءً سيصابون بخيبة أمل كبيرة نتيجة هذا الفراغ، مما يسبب لهم حرماناً أبوياً، خاصةً أن الأبناء يحتاجون إلى الرعاية والمحبة والحنان، ويترك غياب الأب نتائج سلبية على الأبناء في مرحلة الطفولة أو المراهقة، كحالات سفر الأب بقصد العمل، فقد ظهر تيار ضمن الوطن العربي تمثل في تحركات

العمال العرب من البلدان العربية غير المصدرة للنفط إلى البلدان النفطية، حيث ازداد عدد هؤلاء العمال بشكل سريع في عشرة أقطار عربية تتضمن سورية بين عامي ١٩٧٥ -١٩٨٠م، بنمو قدره ٩,١ ٪ سنوياً. وقد نتج عن غياب الذكور الانفصال عن الأسرة والأبناء، مما قد يترك آثاراً سلبية على الروابط الأسرية ومستقبل الأبناء، خصوصاً حين يكون ذلك الغياب طويلاً، كهجرة الأب بصورة دائمة أو سجنه أو إيداعه في مشفى لمدة طويلة. إلا أن هذا البحث يهتم بموضوع غياب الأب عن الأسرة بقصد العمل، بالإضافة إلى حالات الوفاة والطلاق.

الطلاق

الطلاق يعني انفصال الزوجين، بحيث تنقطع الحياة الزوجية، وكأنها وصلت إلى نهاية المطاف، هنا تصاب الأسرة في الصميم مما يترك آثاراً سلبية، يأتي في طليعتها انحرافات سلوكية معينة لبعض أفرادها، كالجنوح والعدوان والأنانية والسلبية.

لقد أظهرت الدراسات بشكل متكرر أنه كلما زادت مدة الطلاق، قل اتصال الوالد مع أبنائه، ووجد (ولرستين وبلاكي) أن ثلاثة من أربعة أطفال يشعرون بأنهم منبوذون من قبل الوالد بعد عشر سنوات من الطلاق.

وإن أسوأ ما يمكن أن يحدث في الطلاق هو إقحام الأبناء في الخلافات الزوجية، واعتبارهم طرفاً في الخلاف، ومحاولة أحد الطرفين تشويه صورة الآخر في نظر أولاده؛ فقد بينت دراسة (حسن، ١٩٩٨) أنه في (١٩٥) من (٦٠٠) حالة انفصال أسري، لجأ أحد الزوجين إلى تشويه صورة الآخر، وأن (٥٥) حالة قد قام أحدهما

بتشويه صورة الآخر بصورة بسيطة. ولعل ذلك من أشد الأمور إيلاماً بالنسبة إلى الأبناء، فهو يهدد مشاعر الأمن لديهم، ويفقدهم الثقة بوالديهم وأنفسهم والمحيط عموماً.

الأب الغائب والطفل

لوجود الوالدين أهمية كبيرة في مختلف مراحل نمو الأبناء. ويمكن أن يظهر الأطفال التعلق بكلا الوالدين.ولذلك يختبر الأطفال بعض التأثيرات السلبية عندما يتعرضون لاتصال غير متكرر وغير موجود مع الأب، بسبب الطلاق أو الوفاة أو الغياب الدائم أو المؤقت، مما يؤدي غالباً إلى حزن طويل الأمد، وقد يترك أثراً في مختلف خصائص شخصية الأبناء. فقد بينت دراسات (داوود، ١٩٨٧ وعبد الله، ١٩٨٨ والسيد نصر، ٢٠٠٢ وChen، ٢٠٠١) أن غياب الأب يؤثر سلباً في السلوك الاجتماعي لكل من الصبيان والبنات، ويسبب لهم مشكلات سلوكية وتحصيلية خصوصاً في الرياضيات والعلوم.

وإن عدم اهتمام الآباء بحضورهم المنظم في الأسرة، يمهد الأجواء لإصابة الأولاد وباقي أفراد الأسرة بالاضطراب خلال فترة غيابهم، مما يعكس أهمية دور الأب في حياة الأبناء.

وينظر الابن إلى والده على أنه في الغالب الأعم:

١- مصدر إعجاب الطفل وشعوره بالفخر والاعتزاز.

٢- رب الأسرة والمسؤول عنها والقادر على اتخاذ القرارات فيها.

٣- القدوة الصالحة الذي تجب محاكاته في أقواله وسلوكه.

٤- المسؤول الأول عن إشباع الحاجات المادية للأسرة.

٥- مصدر الأمن والاستقرار والثواب والعقاب في الأسرة.

٦- أساس الانضباط والاقتدار.

٧- الصديق والرفيق.

إن وجود الأب الفعال في الأسرة يمكن أن يجنب أبناءه كثيراً من معوقات النمو السوي، فهو يتيح المجال لهم ليتعرفوا على صفاته ومميزاته وثقافته وخبراته. ويكوّن الأبناء عادة صورة مثالية عن الأب تفتح لهم آفاقاً واسعة من الخيال لدعم شعورهم بالطمأنينة والثقة بالنفس، لذا فإن غياب صورته الحقيقية يدع الأبناء يكونون صورة خيالية عنه، وقد لا تتوافق هذه الصورة مع شخصيته الحقيقية. وهذا الاصطدام بين واقع شخصية الأب وتخيّل وجودها يؤدي إلى الشعور بالإحباط أو اليأس أو الاستسلام والخنوع أو التمرد والعصيان.

كما أن السلطة الوالدية ضرورية لأنها تساعد الأطفال على تشرب القيم الأخلاقية والمفاهيم الاجتماعية، فقد بينت دراسة نصار أن العديد من الأطفال لديهم الرغبة الطبيعية في إشباع حاجاتهم المبدئية التكوين، وفي تعديل قواهم الهدامة بشرط أن تتوافر إمكانية الاتصال بالأب وبشكل إيجابي، خاصة وأن هذا الاتصال بدا مفقوداً نتيجة تهرب الأب من مسؤولياته تجاه الأسرة بشكل عام، وتجاه الطفل بشكل خاص لدى حاضري الأب، ونتيجة وفاته لدى فاقدي الأب.

فالسلطة الأبوية تساعد الأطفال في تنظيم حاجاتهم، وإشباعها بطرائق أكثر مناسبة لمرحلة النمو التي يمرون بها. كما تساعدهم في اكتساب التنظيم الداخلي اللازم لعمليات التكيف الاجتماعي، وإن غياب تلك السلطة قد يؤدي إلى سيطرة الليبيدو لدى الطفل، والانطلاق وراء النزوات الطفولية، فلا يستطيع أن يتحرر بسهولة من الأزمة الأوديبية، فيزداد الالتصاق بالأم، فحصيلة العلاقة الثنائية (الأم-

الطفل) تعدّ خطيرة على الصعيد النفسي والعاطفي والاجتماعي؛ فالطفل يريد أن يغيب في جسد الأم وأن يبقى ملتصقاً بها.

كما أن وجود الأب يشعر الطفل أنه مماثل لأقرانه، وأن غيابه يجعله مختلفاً عنهم، مما يسبب له الألم والقلق، وخصوصاً عندما يذكر أحد الأقران أباه أو يتحدث عنه. ففاقد الأب يمر بخبرات أليمة وإحساس بالخسارة والمرارة، وشعور بالحرمان من الحب والحنان والعطف.

وقد يترك الحرمان من الأب آثاراً لا تقل خطورة عن الحرمان من الأم على نمو الطفل بأبعاده كلّها؛ فحرمان الطفل من انتقال خبرات الأب إليه قد يسبب عدم تحديد مكونات شخصيته وقلة تدريبه على اتخاذ دوره في المجتمع.

وإن غياب الأب يحرم الأطفال الذكور من خبرة الحياة مع شخص من جنسهم، مما يحرمهم من استكمال الوجود الأبوي والمفاهيم التي يكونونها عن عالم الذكورة بفضل العلاقة مع الأب. كما أن الأب يستخدم أساليب معاملة وتواصل مختلفة عن أساليب الأم، وهذا الاختلاف ضروري لتحقيق تكامل دور كل من الوالدين في التنشئة الاجتماعية والنفسية للأطفال. وقد يبدي الأطفال الذين يعيشون مع الوالد من الجنس المخالف توافقاً اجتماعياً أفقر من الذين يعيشون مع الوالد من الجنس نفسه.

ويحتاج الطفل إلى تكوين صورة الأب القوي والقادر، كما يحتاج إلى الاتصال مع الأب كي يتماهى معه ويكون الأنا الأعلى والأنا المثالية، ويشكل ذلك أساس التوازن بالنسبة إلى الطفل، والركيزة الأساسية لتكوين شخصيته.

obeikandl.com

وإنَّ غياب الأب عن ساحة نمو الأبناء لأسباب الطلاق أو الوفاة أو السفر أو الانشغال بالعمل أو تخليه عن مسؤولياته المادية والمعنوية، هو من أهم العوامل المسؤولة عن عدم رعايتهم بصورة كافية وسليمة؛ لأنه يقلل من فرص التفاعل بين الآباء والأبناء، فيحرمهم من الحنان الأبوي الضروري لاكتمال توازنهم العقلي والعاطفي والنفسي، ويشعرهم بانعدام الرعاية والاهتمام، ويصعّب إمكانية بناء علاقة إيجابية معهم فيما بعد، ومن ثم أداء الأدوار المتوقع منهم القيام بها.

ويحدث غياب الأب اضطراب الهوية لدى الطفل، نتيجة افتقاره إلى الصورة المرجعية للنموذج الأبوي الذي لا يتحقق إلا بوجود الأب داخل الأسرة. وقيامه بدوره الفاعل داخل العائلة إلى جانب الأم والطفل. وإن غيابه يحرم الأبناء من هذا الدور الهام، مما يمهد الأسباب للكثير من المشكلات النفسية والسلوكية والأخلاقية.

الأب الغائب والمراهق

إن من أهم مميزات مرحلة المراهقة المواجهة والتناقض بين المراهق والمحيط، ومحاولة المراهق تحقيق الاستقلال الذاتي وتكوين علاقات سوية مع جماعة الرفاق، ومحاولة المراهق تحقيق الاستقلال الاقتصادي واختيار المهنة، وتحديد الدور الجنسي وتبني إطار خلقي، ويشكل تحديد الذاتية بالنسبة إلى المراهق أزمة النمو الرئيسة في هذه المرحلة.

ويحتاج المراهق حاجة ماسة إلى وجود والده إلى جانبه في إطار علاقة تتسم بالود والألفة والاحترام والتفاهم؛ لتحقيق حاجاته النفسية الملحة، كالحاجة إلى الإحساس بالأمن والتقدير الإيجابي للذات،

والحاجة إلى تحقيق الاستقلال بصورة تدريجية، إذ يكلفه ببعض المسؤوليات ويمنحه بعض الصلاحيات المناسبة لمرحلة نموه، ويسمح له بإبداء رأيه ويشاركه في اتخاذ القرارات بصورة منطقية، ويوجهه لاستخدام السلوكيات المناسبة، وذلك لتحقيق الحاجة الأساسية للشباب في هذه المرحلة الحرجة من مراحل النمو.

ويدرك الابن منذ طفولته أنه ذكر، وأنه سيصبح مثل أبيه، فيسعى لمحاكاة والده في سلوكه وعمله، لذلك فإنه من الضروري في هذه المرحلة أن يكون التواصل بين الأب والمراهق قائماً على الحب والفهم والحوار والحزم والتوجيه، في إطار علاقة صحيحة تمكنه من تنمية إحساسه الرجولي باعتدال؛ إذ يدفعه الأب لممارسة مختلف النشاطات المفيدة، ويشجعه على الأعمال الجيدة والمشاركة في الحياة الاجتماعية. وقد يكون من المجدي أن يرافق المراهق والده في بعض المواقف الاجتماعية، لاكتساب خبرات مناسبة تمكنه من أداء دوره فيما بعد.

كما أن التغيرات العضوية والنفسية الهامة التي تطرأ على الفتاة المراهِقة، كالنضج الجنسي، تجعلها أكثر اهتماماً بمظهرها وهيئتها، كما تجعلها تشعر بالخوف والخجل والقلق أحياناً، لذلك فهي تحتاج إلى تلقي التقدير من الآخرين، ويعدّ وجود الوالدين إلى جانب الفتاة عاملاً هاماً لمساعدتها في تقبل تلك التغيرات والتكيف مع دورها الجديد.

ويشكل الأب قدوة لابنته وسنداً تتعلم منه الانضباط وتحقق من خلال علاقتها به كثيراً من الحاجات النفسية، فهي تشعر بحاجة كبيرة إلى وجود أب عطوف متسامح تثق به، يتسم بسلوك لائق ويكون أهلاً للاحترام. وإن تفهم الوالد لابنته في هذه المرحلة، وتهيئة

obeikandl.com

الأجواء لها يساعدها لتنمي صورة إيجابية عن الرجل من خلال صورته التي تتجلى في طبيعة العلاقة بينهما، التي تقوم على الحب والاحترام، كما يساعدها على تقبل دورها باعتبارها أنثى من خلال النموذج الذي تشاهده في العلاقة بين والديها.

فالمراهقون أكثر استجابة للضغوط التي يتعرضون لها من أقرانهم؛ فقد يتعاطون التدخين أو الكحول أو غيرها، ولا شك أن غياب الرعاية الأسرية أو التهاون فيها، يزيد من احتمال وقوع الأبناء في مثل هذه المزالق والأخطاء، كما أن غياب الحضور الأبوي يجعل الأبناء ينشدون المحبة والأمن لدى الأقران، ويتبنون سلوكهم وقيمهم، وقد يكونون من الأقران الفاشلين. حيث إن لغياب الأب عموماً كثير من الآثار السلبية في النمو النفسي للمراهقين، كما يترك آثاره في التحصيل الدراسي، وفي الإحساس بالقصور في القدرات، وفي مختلف جوانب النمو. وقد يختلف هذا الأثر بين الذكور والإناث. فقد بينت دراسة (عربيات، ١٩٩٤) أن أول مصادر الضغط النفسي لدى المراهقين هي وفاة أحد الوالدين، ثم انفصالهما. وبينت دراسة فولر(Fowler) أن الذكور غائبي الأب قد حصلوا على درجات أعلى، وبفروق واضحة، من البنات في اختبارات التحصيل في الحساب والقراءة وفروع اللغة بصورة عامة. كما بينت دراسة (Merry، ١٩٩٠) وجود انخفاض التحصيل في الرياضيات والمجالات التقنية لدى الأطفال والمراهقين غائبي الأب.كما توصلت كورتني (Courteny) إلى وجود مثل هذه الفروق في المهارات اللغوية لمصلحة الذكور.

وقد بينت دراسات (ديمو وآكوك، ١٩٨٨، هيثرنغتون، ١٩٨٧، هيثرنغتون، كوكس وكوكس ١٩٨٥وآليسون وفورستنبرغ، ١٩٨٩وموت، ١٩٩٤) أن الصبيان والبنات يتأثرون بشكل مختلف بغياب الأب عن

المنزل، حيث يظهر الصبيان مشكلات تكيفية أكثر مما تظهر البنات، ويبدو ذلك في سلوكهم الاجتماعي لمدة أطول مما تبدي البنات.

وقد بينت دراسة (غنية، ١٩٩٥ والبرقاوي، ١٩٩٥، والحموري، ٢٠٠١) أنّ اضطراب المحيط الأسري الذي يعود إلى الطلاق أو وفاة الأب أو الهجر أو المشاحنات بين الوالدين، غالباً ما يقود الفتيات إلى ظهور انحرافات سلوكية تتجلى في محاولة الانتحار أو ارتكاب الجريمة....

كذلك بينت دراسة (Antonis، ٢٠٠١) أنّ الصبية يتضررون من عدم وجود رجل عاطفي في حياتهم.فقد قام الباحث بمقابلة مجموعة من الرجال للكشف عن علاقتهم بآبائهم، فظهر أن الأولاد الذكور يتضررون من عدم وجود رجل عاطفي في حياتهم، ولكن الوجود العاطفي هو المهم لديهم، ويخف تأثير الغياب الجسدي للأب ما دام هناك وجود قوي لرجل عاطفي، كما بينت الدراسة أن الرجال الذين تمت مقابلتهم يشعرون (بفراغ كبير) وهم راشدون بسبب تعرضهم لخبرة الغياب العاطفي للأب في الطفولة. وأظهر بحث سابق أن غياب الأب يؤثر سلباً في التطور الأكاديمي والنفسي والعلاقات المستقبلية للولد، كما أنه يزيد من مخاطر الجنوح وانتهاك القانون والإدمان على المخدرات وحتى الانتحار.

وإن من أهم النتائج السلبية لغياب الأب هو ما يخلفه من آثار في نمو مفهوم الدور الجنسي للأولاد، وفي التفاعل الاجتماعي لديهم، وخصوصاً في العلاقة مع الأقران. فقد بينت دراسات (Armsden، ١٩٨٦)، (Stevenson&black، ١٩٨٨)، (Hughes&Nopp، ١٩٩١) أن غياب الأب يمكن أن يؤثر بشكل خطير في تطور الدور الجنسي للصبيان، وأنه يضعف قدرة الصبيان والبنات على التكيف مع الأقران والتفاعل الاجتماعي في مرحلة ما قبل المراهقة وفي المراهقة.

تعويض غياب الأب

يمثل فقد الأب خسارة للأم والأبناء؛ فالزوج المتفهم والإيجابي هو السند المعنوي لزوجته وأحد العناصر المكونة لحساسية الأم، فهي تحتاج إلى وجود رجل محب يمتلك صفات الرجولة، ومن الأهمية تفهم الأم لحال الابن ومشاركته أحزانه وآلامه التي تحدث بسبب غياب الأب، وأن تحافظ على احترام الأب في غيابه أمام الأبناء، وهكذا يحتفظ الابن بصورة إيجابية عن أبيه الغائب، يغذيها كل من الأم والأخ الكبير بذكر الصفات الإيجابية عنه، كما أن موقف الأم المباشر من الأب الغائب له أثر في التخفيف من آثار الغياب، وبالذات في إبراز دوره بوصفه جزءاً حيوياً في الأسرة. مما يقلل من تأثير حدة انعكاسات غياب الأب على نمو الأبناء وتطورهم.

وكلما كانت شخصية الأم أقوى وأكثر توافقاً نفسياً و فاعلية فإنها تستطيع التعامل بكفاءة أكبر مع المشكلات دون وجود الأب، إذ تشير الدراسات إلى أن قوة الذات لدى الأم أكثر أهمية في حال فقدان الأب من دفئها وحنانها في توافق الأبناء ورعايتهم؛ لأن كفاءة الأم تجعلها نموذجاً جيداً للأبناء، مما يساعد في تشجيع السلوك الذكري لدى الذكور، وتوافقهم ضمن هذا الدور.

ولا يمكن تعويض القصور الأبوي كلياً كائناً من كان البديل عنه؛ وذلك لاختلاف طبيعة العلاقة القائمة بين الأب وابنه عن العلاقة القائمة بين الابن وأي راشد آخر. إلا أن وجود بدائل الأب يحسّن التكيف الاجتماعي للابن، وإن اتصاله بهؤلاء الراشدين كالمعلم أو الأخ أو القريب الذي يقدم التشجيع والدعم اللذين يحتاجهما بدرجة كبيرة بعد فقدانه للحامي الأساسي قد يخفف من أثر الحرمان من

الاستقرار الأبوي داخل المنزل، أو من غيابه الكلي كما في حال الوفاة. فمن المهم تجديد الروابط العاطفية مع راشد يمكّنه من متابعة تكوين سياقات التماهي، ومن تأمين الدافع الضروري لنموه، والمحافظة قدر الإمكان، على ركائز الإطار العائلي والعمل على تعزيزه، نظراً لتدعيمه مفهوم التوازن عند الابن، ذلك التوازن المختل إثر غياب الأب. مما يساعده على تجاوز واقعه المؤلم، والاستمرار قدماً في طريق التطور والنمو لدرجة أن التأثير الذي أحدثه غياب الوالد قد يصبح إيجابي الطابع ويتخذ رغبة القوة البناءة والإبداعية.

ولا تستطيع الأم أن تكون بديلة عن الأب الغائب؛ إذ إنها ستفقد دورها الأمومي، وهذا ما يعزز إحساس الابن الداخلي بفقدانها كأم، أو إنها ستعجز عن تمثيل دور الأب وهذا ما يثير قلق الابن.

ويمكن للأب المسافر تعويض غيابه بما يلي:

- البقاء على اتصال دائم مع الأسرة، على الأقل عن طريق الاتصال الهاتفي.
- تعزيز الثقة مع الأولاد والمحافظة على الوعود، فكلما ازدادت ثقة الأولاد بالأب أصبح بإمكانهم الاعتماد عليه.
- توفير الجو المناسب والمريح للأولاد في فترات حضوره في المنزل، وتوفير حاجياتهم.
- مرافقتهم في الزيارات في فترات وجوده وإنجاز بعض المهمات المنزلية معهم كفريق، ومشاركتهم أنشطتهم المختلفة.
- مشاطرتهم مشاعرهم، والتعرف بأصدقائهم وتعزيز الصداقات الجيدة.

obeikandl.com

- تعزيز شعور الأبناء بأنهم جزء هام من عالم الأب الخاص، وعدم إقحامهم بأي خلاف مع الأم أو مع الزوجة.

فالأبوة الجيدة تعني أن يكون الأب موجوداً من أجل أولاده، وجعلهم يشعرون بوجوده ومحبته، وذلك بالتفاعل معهم ومشاركتهم تفاصيل حياتهم.

obeikandl.com